تفسير سورة القيامة

هى تسع وثلاثون آية . وهى مكية بلا خلاف . وأخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه ، والبيهقى فى الدلائل من طرق عن ابن عباس قال : نزلت سورة القيامة ، وفى لفظ سورة لا أقسم بمكة . وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير قال : أنزلت سورة لا أقسم بمكة .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (٢) أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَن لَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ (٣) بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ (٤) بَلْ يُرِيدُ الإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ (٥) يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ (٦) فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ (٧) وَخَسَفَ الْقَمَرُ (٨) وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (٩) يَقُولُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ (١٠) كَلاَّ لا وَزَرَ (١١) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ (١٢) يُنَبَّأُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ (١٣) بَلِ الإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (١٤) وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ (١٥) لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (١٩) كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (٢٠) وَتَذَرُونَ الآخِرَةَ (٢١) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (٢٤) تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (٢٥) ﴾

قوله: ﴿ **لا أقسم بيوم القيامة** ﴾ قال أبو عبيدة وجماعة من المفسرين : إنّ « لا » زائدة ، والتقدير : أقسم . قال السمرقندى : أجمع المفسرون أن معنى ﴿ **لا أقسم** ﴾ : أقسم ، واختلفوا فى تفسير « لا » ، فقال بعضهم : هى زائدة ، وزيادتها جارية فى كلام العرب كما فى قوله : ﴿ ما منعك ألا تسجد ﴾ [الأعراف : ١٢] يعنى : أن تسجد ، و﴿ لئلا يعلم أهل الكتاب ﴾ [الحديد : ٢٩] ومن هذا قول الشاعر :

تذكرت ليلى فاعترتنى صبابة وكاد صميم القلب لا يتقطع

وقال بعضهم : هى ردّ لكلامهم حيث أنكروا البعث كأنه قال : ليس الأمر كما ذكرتم أقسم بيوم القيامة ، وهذا قول الفراء وكثير من النحويين ، كقول القائل : لا والله ، فلا ردّ لكلام قد تقدّمها ، ومنه قول الشاعر :

فلا وأبيك ابنة العامرى لا يدعى القوم أنى أفر

وقيل : هى للنفى ، لكن لا لنفى الإقسام ، بل لنفى ما ينبئ عنه من إعظام المقسم به وتفخيمه ، كأن معنى لا أقسم بكذا : لا أعظمه بإقسامى به حق إعظامه ، فإنه حقيق بأكثر من ذلك . وقيل : إنها لنفى الإقسام لوضوح الأمر ، وقد تقدّم الكلام على هذا فى تفسير قوله :

﴿فلا أقسم بمواقع النجوم﴾ [الواقعة : ٧٥] . وقرأ الحسن وابن كثير فى رواية عنه ، والزهرى، وابن هرمز : « لأقسم » بدون ألف على أن اللام لام الابتداء ، والقول الأوّل هو أرجح هذه الأقوال . وقد اعترض عليه الرازى بما لا يقدح فى قوته ولا يفت فى عضد رجحانه، وإقسامه سبحانه بيوم القيامة؛ لتعظيمه وتفخيمه ، ولله أن يقسم بما شاء من مخلوقاته.

﴿ **ولا أقسم بالنفس اللوامة** ﴾ ذهب قوم إلى أنه سبحانه أقسم بالنفس اللوامة كما أقسم بيوم القيامة ، فيكون الكلام فى « لا » هذه كالكلام فى الأولى ، وهذا قول الجمهور . وقال الحسن : أقسم بيوم القيامة ولم يقسم بالنفس اللوّامة. قال الثعلبى : والصحيح أنه أقسم بهما جميعا ، ومعنى النفس اللوّامة : النفس التى تلوم صاحبها على تقصيره ، أو تلوم جميع النفوس على تقصيرها . قال الحسن : هى والله نفس المؤمن ، لا يرى المؤمن إلا يلوم نفسه ما أردت بكذا ما أردت بكذا ، والفاجر لا يعاتب نفسه . قال مجاهد : هى التى تلوم على مافات وتندم، فتلوم نفسها على الشر لمَ تعمله ؟ وعلى الخير لمَ لمْ تستكثر منه ؟ قال الفراء : ليس من نفس برّة ولا فاجرة إلا وهى تلوم نفسها ، إن كانت عملت خيرا قالت : هلا ازددت وإن كانت عملت سوءا قالت : ليتنى لم أفعل ، وعلى هذا فالكلام خارج مخرج المدح للنفس ، فيكون الإقسام بها حسنا سائغا . وقيل : اللوامة : هى الملومة المذمومة ، فهى صفة ذمّ ، وبهذا احتج من نفى أن يكون قسما ، إذ ليس لنفس العاصى خطر يقسم به ، قال مقاتل: هى نفس الكافر يلوم نفسه ويتحسر فى الآخرة على ما فرط فى جنب الله ، والأول أولى .

﴿ **أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه** ﴾ المراد بالإنسان : الجنس . وقيل : الإنسان الكافر، والهمزة للإنكار ، و«أن » هى المخففة من الثقيلة ، واسمها ضمير شأن محذوف ، والمعنى : أيحسب الإنسان أن الشأن أن لن نجمع عظامه بعد أن صارت رفاتا ، فنعيدها خلقا جديدا ، وذلك حسبان باطل ، فإنا نجمعها ، وما يدل عليه هذا الكلام هو جواب القسم . قال الزجاج : أقسم بيوم القيامة وبالنفس اللوامة ليجمعن العظام للبعث ، فهذا جواب القسم . وقال النحاس : جواب القسم محذوف ، أى ليبعثنّ ، والمعنى : أن الله سبحانه يبعث جميع أجزاء الإنسان ، وإنما خص العظام؛ لأنها قالب الخلق .﴿ **بلى قادرين على أن نسوّى بنانه** ﴾ بلى إيجاب لما بعد النفى المنسحب إليه الاستفهام ، والوقف على هذا وقف حسن ، ثم يبتدئ الكلام بقوله : ﴿ **قادرين** ﴾ وانتصاب ﴿**قادرين** ﴾ على الحال ، أى بلى نجمعها قادرين ، فالحال من ضمير الفعل المقدّر . وقيل : المعنى : بل نجمعها نقدر قادرين . قال الفراء : أى نقدر، ونقوى قادرين على أكثر من ذلك . وقال أيضا : إنه يصلح نصبه على التكرير ، أى بلى فليحسبنا قادرين . وقيل : التقدير : بلى كنا قادرين . وقرأ ابن أبى عبلة وابن السميقع: «بلى قادرون » على تقدير مبتدأ ، أى بلى نحن قادرون ، ومعنى ﴿ **على أن نسوّى بنانه** ﴾ : على أن نجمع بعضها إلى بعض ، فنردّها كما كانت مع لطافتها وصغرها ، فكيف بكبار الأعضاء فنبه سبحانه بالبنان ، وهى الأصابع، على بقية الأعضاء ، وأن الاقتدار على بعثها

وإرجاعها كما كانت أولى فى القدرة من إرجاع الأصابع الصغيرة اللطيفة المشتملة على المفاصل والأظافر والعروق اللطاف والعظام الدقاق ، فهذا وجه تخصيصها بالذكر ، وبهذا قال الزجاج وابن قتيبة ، وقال جمهور المفسرين : إن معنى الآية : أن نجعل أصابع يديه ورجليه شيئا واحدا ، كخف البعير وحافر الحمار صفيحة واحدة لا شقوق فيها ، فلا يقدر على أن ينتفع بها فى الأعمال اللطيفة كالكتابة والخياطة ونحوهما ، ولكنا فرقنا أصابعه لينتفع بها . وقيل : المعنى : بل نقدر على أن نعيد الإنسان فى هيئة البهائم ، فكيف فى صورته التى كان عليها ، والأوّل أولى ، ومنه قول عنترة :

وإن الموت طوع يدى إذ ما وصلت بنانها بالهندوان

فنبه بالبنان على بقية الأعضاء . ﴿ **بل يريد الإنسان ليفجر أمامه** ﴾ هو عطف على ﴿**أيحَسب** ﴾، إما على أنه استفهام مثله وأضرب عن التوبيخ بذلك إلى التوبيخ بهذا ، أو على أنه إيجاب انتقل إليه من الاستفهام . والمعنى : بل يريد الإنسان أن يقدم فجوره فيما بين يديه من الأوقات، وما يستقبله من الزمان ، فيقدم الذنب ويؤخر التوبة . قال ابن الأنبارى: يريد أن يفجر ما امتدّ عمره ، وليس فى نيته أن يرجع عن ذنب يرتكبه . قال مجاهد والحسن وعكرمة والسدىّ وسعيد بن جبير : يقول : سوف أتوب ولا يتوب حتى يأتيه الموت ، وهو على أشرّ أحواله . قال الضحاك : هو الأمل ، يقول : سوف أعيش وأصيب من الدنيا ، ولا يذكر الموت ، والفجور أصله : الميل عن الحقّ ، فيصدق على كل من مال عن الحق بقول أو فعل ، ومنه قول الشاعر :

أقسم بالله أبو حفص عمر
ما مسها من نقب ولا دبر
اغفر له اللهم إن كان فجر

وجملة : ﴿ **يسأل أيان يوم القيامة** ﴾ مستأنفة لبيان معنى يفجر ، والمعنى : يسأل : متى يوم القيامة ؟ سؤال استبعاد واستهزاء : ﴿ **فإذا برق البصر** ﴾ أى فزع وتحير، من برق الرجل : إذا نظر إلى البرق فدهش بصره . قرأ الجمهور : ﴿**برق**﴾ بكسر الراء . قال أبو عمرو بن العلاء والزجاج وغيرهما : المعنى : تحير فلم يطرف ، ومنه قول ذى الرّمة :

ولو أن لقمان الحكيم تعرضت لعينيه مى سافرا [1] كاد يبرق

وقال الخليل والفراء :﴿ **برق** ﴾ بالكسر فزع وبهت وتحير ، والعرب تقول للإنسان المبهوت: قد برق فهو برق ، وأنشد الفرّاء :

(١) فى المطبوعة : « يسافرا » والصحيح ما أثبتناه من القرطبى ١٠ / ٦٦٨٧ ومن المخطوطة .

ونفسك فانع ولا تنعنى وداو الكلوم ولا تبرق

أى لا تفزع من كثرة الكلوم التى بك ، وقرأ نافع وأبان عن عاصم :« برق » بفتح الراء، أى لمع بصره من شدة شخوصه للموت ، قال مجاهد وغيره : هذا عند الموت ، وقيل : برق يبرق شق عينيه وفتحهما . وقال أبو عبيدة : فتح الراء وكسرها لغتان بمعنى ﴿ **وخسف القمر**﴾ قرأ الجمهور : ﴿ **خسف** ﴾ بفتح الخاء والسين مبنيا للفاعل . وقرأ ابن أبى إسحاق وعيسى والأعرج وابن أبى عبلة وابن حيوة بضم الخاء وكسر السين مبنيا للمفعول ، ومعنى ﴿**خسف القمر**﴾: ذهب ضوؤه ولا يعود كما يعود إذا خسف فى الدنيا ، ويقال : خسف: إذا ذهب جميع ضوئه ، وكسف : إذا ذهب بعض ضوئه . ﴿ **وجمع الشمس والقمر** ﴾ أى ذهب ضوؤهما جميعا ، ولم يقل: « جمعت » لأن التأنيث مجازىّ ، قاله المبرد . وقال أبو عبيدة : هو لتغليب المذكر على المؤنث . وقال الكسائى : حمل على معنى جمع النيران ، وقال الزجاج والفراء : ولم يقل : « جمعت » لأن المعنى جمع بينهما فى ذهاب نورهما . وقيل : جمع بينهما فى طلوعهما من الغرب أسودين مكورين مظلمين . قال عطاء : يجمع بينهما يوم القيامة، ثم يقذفان فى البحر فيكونان نار الله الكبرى . وقيل : تجمع الشمس والقمر فلا يكون هناك تعاقب ليل ونهار ، وقرأ ابن مسعود : « وجمع بين الشمس والقمر » . ﴿ **يقول الإنسان يومئذ أين المفرّ** ﴾ أى يقول عند وقوع هذه الأمور: أين المفرّ ، أين الفرار ؟ والمفرّ مصدر بمعنى الفرار . قال الفراء: يجوز أن يكون موضع الفرار ، ومنه قول الشاعر :

أين المفر والكباش تنتطح وكل كبش فر منها يفتضح

قال الماوردى : يحتمل وجهين : أحدهما : أين المفرّ من الله سبحانه استحياء منه ، والثانى: أين المفرّ من جهنم حذرا منها . قرأ الجمهور : ﴿ **أين المفرّ** ﴾ بفتح الميم والفاء مصدرا كما تقدّم ، وقرأ ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة بفتح الميم وكسر الفاء على أنه اسم مكان ، أى أين مكان الفرار ، وقال الكسائى : هما لغتان مثل مدَب ومدِب ومصَح ومصِح ، وقرأ الزهرى بكسر الميم وفتح الفاء على أن المراد به: الإنسان الجيد الفرار ، ومنه قول امرئ القيس :

مكرّ مفرّ مقبل مدبر معا كجلمود صخر حطه السيل من عل

أى جيد الفرّ والكر . ﴿ **كلا لا وزر** ﴾ أى لا جبل ولا حصن ولا ملجأ من الله . وقال ابن جبير : لا محيص ولا منعة ، والوزر فى اللغة : ما يلجأ إليه الإنسان من حصن ، أو جبل أو غيرهما ، ومنه قول طرفة :

ولقد تعلم بكر أننا فاضلو الرأى وفى الروع وزر

وقال آخر :

لعمرى ما للفتى من وزر من الموت يدركه والكبر

قال السدّى : كانوا إذا فزعوا فى الدنيا تحصنوا بالجبال ، فقال لهم الله : لا وزر يعصمكم منى يومئذ ، وكلا للردع ، أو لنفى ما قبلها ، أو بمعنى حقا ﴿ **إلى ربك يومئذ المستقر** ﴾ أى المرجع والمنتهى والمصير لا إلى غيره . وقيل : إليه الحكم بين العباد لا إلى غيره . وقيل : المستقر: الاستقرار حيث يقرّه الله ﴿ **ينبؤ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر** ﴾ أى يخبر يوم القيامة بما عمل من خير وشرّ ، وقال قتادة :بما عمل من طاعة ، وما أخر من طاعة فلم يعمل بها ، وقال زيد بن أسلم : بما قدّم من أمواله وما خلف للورثة . وقال مجاهد : بأول عمله وآخره . وقال الضحاك: بما قدّم من فرض وأخر من فرض . قال القشيرى : هذا الإنباء يكون يوم القيامة عند وزن الأعمال ، ويجوز أن يكون عند الموت . قال القرطبى : والأوّل أظهر. ﴿ **بل الإنسان على نفسه بصيرة** ﴾ ارتفاع بصيرة على أنها خبر الإنسان ، على نفسه متعلق ببصيرة ، قال الأخفش: جعله هو البصيرة كما تقول للرجل : أنت حجة على نفسك . وقيل : المعنى : إن جوارحه تشهد عليه بما عمل كما فى قوله : ﴿ يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ﴾ [النور : ٢٤] وأنشد الفرّاء :

كأن على ذى العقل عينا بصيـ ـرة بمقعـده أو منـظر هــو ناظر

فيكون المعنى : بل جوارح الإنسان عليه شاهدة . قال أبو عبيدة والقتيبى : إن هذه الهاء فى بصيرة هى التى يسميها أهل الإعراب هاء المبالغة كما فى قولهم : علامة . وقيل : المراد بالبصيرة: الكاتبان اللذان يكتبان ما يكون منه من خير وشرّ، والتاء على هذا للتأنيث . وقال الحسن : أى بصير بعيوب نفسه .﴿ **ولو ألقى معاذيره** ﴾ أى ولو اعتذر وجادل عن نفسه لم ينفعه ذلك . يقال : معذرة ومعاذير . قال الفرّاء : أى وإن اعتذر فعليه من يكذب عذره . وقال الزجاج : المعاذير : الستور ، والواحد معذار ، أى وإن أرخى الستور يريد أن يخفى نفسه فنفسه شاهدة عليه ، كذا قال الضحاك والسدّى . والستر بلغة اليمن يقال له : معذار ، كما قال المبرد، ومنه قول الشاعر :

ولكنها ضــنت بمنزل ســاعة علينا وأطت يومهــا بالمعاذر

والأوّل أولى ، وبه قال مجاهد وقتادة وسعيد بن جبير وابن زيد وأبو العالية ومقاتل ، ومثله قوله : ﴿ يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ﴾ [غافر : ٥٢] . وقوله :﴿ ولا يؤذن لهم فيعتذرون﴾ [المرسلات : ٣٦] . وقول الشاعر :

فما حسن أن يعذر المرء نفسه وليس له من سائر الناس عاذر

﴿ **لا تحرك به لسانك لتعجل به** ﴾ كان رسول الله ﷺ يحرّك شفتيه ولسانه بالقرآن إذا أنزل عليه قبل فراغ جبريل من قراءة الوحى حرصا على أن يحفظه ﷺ ، فنزلت هذه الآية : أى لا

تحرّك بالقرآن لسانك عند إلقاء الوحى لتأخذه على عجل مخافة أن يتفلت منك ومثل هذا قوله : ﴿ ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه ﴾ الآية [طه : ١١٤] ، ﴿ **إن علينا جمعه**﴾ فى صدرك حتى لا يذهب عليك منه شىء ﴿ **وقرآنه** ﴾ أى إثبات قراءته فى لسانك ، قال الفرّاء : القراءة والقرآن مصدران . وقال قتادة : فاتبع قرآنه ، أى شرائعه وأحكامه . ﴿ **فإذا قرأناه** ﴾ أى أتممنا قراءته عليك بلسان جبريل ﴿ **فاتبع قرآنه** ﴾ أى قراءته . ﴿ **ثم إن علينا بيانه** ﴾ أى تفسير مافيه من الحلال والحرام وبيان ما أشكل منه ، قال الزجاج : المعنى : علينا أن ننزله عليك قرآنا عربيا فيه بيان للناس . وقيل : المعنى : إن علينا أن نبينه بلسانك .

﴿ **كلا بل تحبون العاجلة** ﴾ كلا للردع عن العجلة والترغيب فى الأناة . وقيل : هى ردع لمن لا يؤمن بالقرآن وبكونه بينا من الكفار . قال عطاء : أى لا يؤمن أبوجهل بالقرآن وبيانه . قرأ أهل المدينة والكوفيون : ﴿ **بل تحبون** ﴾ ﴿**وتذرون**﴾ بالفوقية فى الفعلين جميعا . وقرأ الباقون بالتحتية فيهما ، فعلى القراءة الأولى يكون الخطاب لهم تقريعا وتوبيخا ، وعلى القراءة الثانية يكون الكلام عائدا إلى الإنسان لأنه بمعنى الناس ، والمعنى : تحبون الدنيا وتتركون ﴿**الآخرة**﴾ فلا تعملون لها . ﴿**وجوه يومئذ ناضرة** ﴾ أى ناعمة غضة حسنة ، يقال : شجر ناضر وروض ناضر ، أى حسن ناعم ، ونضارة العيش حسنه وبهجته . قال الواحدى والمفسرون: يقولون : مضيئة مسفرة مشرقة ﴿ **إلى ربها ناظرة** ﴾ هذا من النظر ، أى إلى خالقها ومالك أمرها ،ناظرة ، أى تنظر إليه ، هكذا قال جمهور أهل العلم ، والمراد به : ما تواترت به الأحاديث الصحيحة من أن العباد ينظرون ربهم يوم القيامة كما ينظرون إلى القمر ليلة البدر ، قال ابن كثير : وهذا بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة كما هو متفق عليه بين أئمة الإسلام وهداة الأنام . وقال مجاهد : إن النظر هنا انتظار ما لهم عند الله من الثواب ، وروى نحوه عن عكرمة . وقيل : لا يصح هذا إلا عن مجاهد وحده ، قال الأزهرى : وقول مجاهد خطأ؛ لأنه لا يقال : نظر إلى كذا بمعنى الانتظار ، وإن قول القائل : نظرت إلى فلان ليس إلا رؤية عين ، إذا أرادوا الانتظار قالوا : نظرته كما فى قول الشاعر :

فإنكما إن تنظرانى ساعة من الدهر تنفعنى لدى أمّ جندب

فإذا أرادوا نظر العين قالوا : نظرت إليه ، كما قال الشاعر :

نظرت إليها والنجوم كأنها مصابيح رهبان تشب لفعال

وقال الآخر :

إنى إليك لما وعدت لناظر نظر الفقير إلى الغنى الموسر

أى أنظر إليك نظر ذلّ كما ينظر الفقير إلى الغنىّ ، وأشعار العرب وكلماتهم فى هذا

كثيرة جدا ، و﴿وجوه﴾ مبتدأ ، وجاز الابتداء به مع كونه نكرة لأن المقام مقام تفصيل ، وناضرة صفة لوجوه ، ويومئذ ظرف لناضرة ، ولو لم يكن المقام مقام تفصيل لكان وصف النكرة بقوله: ﴿ ناضرة ﴾ مسوّغا للابتداء بها ، ولكن مقام التفصيل بمجرّده مسوّغ للابتداء بالنكرة . ﴿ووجوه يومئذ باسرة ﴾ أى كالحة عابسة كئيبة . قال فى الصحاح: بسر الرجل وجهه بسورا ، أى كلح . قال السدّى: باسرة ، أى متغيرة . وقيل : مصفرة ، والمراد بالوجوه هنا : وجوه الكفار. ﴿ تظن أن يفعل بها فاقرة ﴾ الفاقرة : الداهية العظيمة ، يقال: فقرته الفاقرة ، أى كسرت فقار ظهره . وقال قتادة : الفاقرة : الشرّ ، وقال السدّى : الهلاك، وقال ابن زيد : دخول النار ، وأصل الفاقرة : الوسم على أنف البعير بحديدة أو نار حتى تخلص إلى العظم ، كذا قال الأصمعى، ومن هذا قولهم : قد عمل به الفاقرة ، قال النابغة:

أبا لى قبر لا يزال مقابلى وضربة فأس فوق رأسى فاقره

وقد أخرج ابن جرير وابن المنذر ، والحاكم وصححه عن سعيد بن جبير قال : سألت ابن عباس عن قوله : ﴿ لا أقسم بيوم القيامة ﴾ قال : يقسم ربك بما شاء من خلقه ، قلت : ﴿ ولا أقسم بالنفس اللوامة ﴾ قال : النفس اللؤوم . قلت : ﴿ أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه . بلى قادرين على أن نسوّى بنانه ﴾ قال : لو شاء لجعله خفا أو حافرا . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عنه : ﴿ اللوّامة ﴾ قال : المذمومة . وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عنه أيضا قال : التى تلوم على الخير والشرّ تقول لو فعلت كذا وكذا . وأخرج ابن المنذر عنه أيضا قال : تندم على ما فات وتلوم عليه . وأخرج ابن جرير عنه أيضا : ﴿ بل يريد الإنسان ليفجر أمامه ﴾ قال : يمضى قدما . وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عنه فى الآية قال : هو الكافر الذى يكذب بالحساب . وأخرج ابن جرير عنه أيضا فى الآية قال : يعنى : الأمل ، يقول : أعمل ثم أتوب . وأخرج ابن أبى الدنيا فى ذمّ الأمل ، والبيهقى فى الشعب عنه أيضا فى الآية قال : يقدّم الذنب ويؤخر التوبة . وأخرج الفريابى وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم ، والحاكم وصححه ، والبيهقى فى الشعب ، عنه أيضا : ﴿بل يريد الإنسان ليفجر أمامه ﴾ يقول : سوف أتوب ﴿ يسأل أيان يوم القيامة ﴾ قال : يقول : متى يوم القيامة؟ قال : فبين له﴿ إذا برق البصر﴾ . وأخرج ابن جرير عنه أيضا قال : ﴿إذا برق البصر﴾ يعنى: الموت .

وأخرج عبد بن حميد وابن أبى الدنيا وابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن مسعود فى قوله : ﴿ لا وزر ﴾ قال : لا حصن . وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم من طرق عن ابن عباس فى قوله :﴿ لا وزر ﴾ قال : لا حصن ولا ملجأ ، وفى لفظ : لا حرز، وفى لفظ : لا جبل .وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن ابن مسعود فى قوله :﴿ ينبؤ الإنسان يومئذ بما قدّم وأخر﴾ قال : بما قدّم من عمل ، وأخر من سنة عمل بها من بعده من خير أو شرّ . وأخرج ابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن عباس نحوه.

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال : بما قدّم من المعصية وأخر من الطاعة فينبؤ بذلك . وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر من طرق عنه فى قوله : ﴿ **بل الإنسان على نفسه بصيرة** ﴾ قال: شهد على نفسه وحده ﴿ **ولو ألقى معاذيره** ﴾ قال : ولو اعتذر . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عنه : ﴿ بل الإنسان على نفسه بصيرة﴾ قال : سمعه وبصره ويديه ورجليه وجوارحه ﴿ ولو ألقى معاذيره ﴾ قال : ولو تجرّد من ثيابه .

وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة ، فكان يحرك به لسانه وشفتيه مخافة أن يتفلت منه يريد أن يحفظه فأنزل الله : ﴿**لا تحرك به لسانك لتعجل به . إنّ علينا جمعه وقرآنه**﴾ قال : يقول : إنّ علينا أن نجمعه فى صدرك ثم تقرأه ﴿ **فإذا قرأناه** ﴾ يقول : إذا أنزلناه عليك ﴿**فاتبع قرآنه** ﴾ فاستمع إليه وأنصت ﴿ **ثم إن علينا بيانه** ﴾ أن نبينه بلسانك ، وفى لفظ : علينا أن نقرأه ، فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل أطرق . وفى لفظ : استمع ، فإذا ذهب قرأه كما وعده الله [(١)] . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عنه ﴿**فإذا قرأناه** ﴾ قال : بيناه ﴿ **فاتبع قرآنه**﴾ يقول : اعمل به . وأخرج عبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد عن ابن مسعود فى قوله : ﴿ **كلا بل تحبون العاجلة** ﴾ قال : عجلت لهم الدنيا شرها وخيرها وغيبت الآخرة .

وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس : ﴿ **وجوه يومئذ ناضرة** ﴾ قال : ناعمة . وأخرج ابن المنذر والآجرى فى الشريعة ، واللالكائى فى السنة ، والبيهقى فى الرؤية عنه : ﴿ **وجوه يومئذ ناضرة** ﴾ قال : يعنى حسنها ﴿**إلى ربها ناظرة**﴾ قال : نظرت إلى الخالق . وأخرج ابن مردويه عنه أيضا : ﴿ **إلى ربها ناظرة** ﴾ قال تنظر إلى وجه ربها . وأخرج ابن مردويه عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ **وجوه يومئذ ناضرة .إلى ربها ناظرة** ﴾ قال : « ينظرون إلى ربهم بلا كيفية ولا حدّ محدود ولا صفة معلومة» . وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن أبى هريرة قال : قال الناس : يارسول الله ، هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال : « هل تضارون فى الشمس ليس دونها سحاب ؟ » قالوا : لا يارسول الله ، قال : « فهل تضارّون فى القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب ؟ » قالوا : لا يارسول الله ، قال : « فإنكم ترونه يوم القيامة كذلك»[(٢)]. وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما من حديث أبى هريرة نحوه . وقد قدّمنا أن أحاديث الرؤية متواترة فلا نطيل بذكرها ، وهى تأتى فى مصنف مستقل ، ولم يتمسك من نفاها واستبعدها بشىء يصلح للتمسك به لا من كتاب الله ولا من سنة رسوله.

وقد أخرج ابن أبى شيبة وعبد بن حميد والترمذى وابن جرير وابن المنذر والطبرانى

(١) البخارى فى التفسير (٤٩٢٧) ومسلم فى الصلاة (٤٤٨/ ١٤٧) والترمذى فى التفسير (٣٣٢٩) وقال : «هذا حديث حسن صحيح » والنسائى فى التفسير (٦٥٤) .

(٢) أحمد ٢/ ٢٧٥ والبخارى فى التوحيد (٧٤٣٧) وفى الرقائق (٦٥٧٣) ومسلم فى الإيمان (١٨٢ / ٣٩٩) والنسائى فى التفسير (٥٠٨).

والدارقطنى والحاكم وابن مردويه والبيهقى عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة ، وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية » ، ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ **وجوه يومئذ ناضرة. إلى ربها ناظرة** ﴾ (١) . وأخرجه أحمد فى المسند من حديثه بلفظ : «إن أفضلهم منزلة لينظر فى وجه الله كل يوم مرتين » (٢) . وأخرج النسائى والدارقطنى وصححه ، وأبو نعيم عن أبى هريرة قال : **قلنا** : يارسول الله ، هل نرى ربنا ؛ قال : « هل ترون الشمس فى يوم لا غيم فيه، وترون القمر فى ليلة لا غيم فيها ؟ » **قلنا** : نعم . قال : « فإنكم سترون ربكم عزّ وجلّ ، حتى إن أحدكم ليحاضر ربه محاضرة ، فيقول : عبدى هل تعرف ذنب كذا وكذا ؟ فيقول : ألم تغفر لى ؟ فيقول : بمغفرتى صرت إلى هذا » (٣) .

﴿ **كَلاَّ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (٢٦) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ (٢٧) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (٢٨) وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (٢٩) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ (٣٠) فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّىٰ (٣١) وَلَكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (٣٢) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ (٣٣) أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ (٣٤) ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ (٣٥) أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى (٣٦) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ (٣٩) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ (٤٠)** ﴾

قوله : ﴿ **كلا** ﴾ ردع وزجر ، أى بعيد أن يؤمن الكافر بيوم القيامة ، ثم استأنف ، فقال : ﴿ **إذا بلغت التراقى** ﴾ أى بلغت النفس أو الروح التراقى ، وهى جمع ترقوة ، وهى عظم بين ثغرة النحر والعاتق ، ويكنى ببلوغ النفس التراقى عن الإشفاء على الموت ، ومثله قوله : ﴿فلولا إذا بلغت الحلقوم ﴾ [الواقعة : ٨٣] وقيل: معنى ﴿ **كلا** ﴾ : حقا ، أى حقا أن المساق إلى الله إذا بلغت التراقى، والمقصود : تذكيرهم شدّة الحال عند نزول الموت ، قال دريد بن الصمة:

ورب كـريهة دافـعـت عـنهـا وقد بلغت نفوسهـم التـراقى

﴿ **وقيل من راق** ﴾ أى قال من حضر صاحبها : من يرقيه ويشتفى برقيته ؟ قال قتادة : التمسوا له الأطباء فلم يغنوا عنه من قضاء الله شيئا ، وبه قال أبو قلابة ، ومنه قول الشاعر :

هل للفتى من بنات الموت من واقى أم هل له من حمام الموت من راقى

وقال أبو الجوزاء : هو من رقى يرقى : إذا صعد ، والمعنى : من يرقى بروحه إلى السماء

---

(١) ابن أبى شيبة فى الجنة (١٥٨٤٧) والترمذى فى التفسير (٣٣٣٠) وقال : « غريب ، قد رواه غير واحد عن إسرائيل مرفوعا ، وروى عبد الملك بن أبجر عن ثوير عن ابن عمر قوله ولم يرفعه » وابن جرير ٢٩/ ١٢٠ والحاكم ٢/ ٥٠٩ ، ٥١٠ وقال: « ثوير لم ينقم عليه إلا التشيع » وقال الذهبى : « بل هو واهى الحديث».

(٢) أحمد ٢/ ٦٤ . (٣) التفسير (٦٥٧) .

أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب ؟ وقيل : إنه يقول ذلك ملك الموت ، وذلك أن نفس الكافر تكره الملائكة قربها ﴿ **وظنّ أنه الفراق** ﴾ أى وأيقن الذى بلغت روحه التراقى أنه الفراق من الدنيا ومن الأهل والمال والولد . ﴿ **والتفت الساق بالساق** ﴾ أى التفت ساقه بساقه عند نزول الموت به، وقال جمهور المفسرين : المعنى : تتابعت عليه الشدائد . وقال الحسن : هما ساقاه إذا التفتا فى الكفن ، وقال زيد بن أسلم التفت ساق الكفن بساق الميت ، وقيل : ماتت رجلاه ويبست ساقاه ولم تحملاه ، وقد كان جوّالا عليهما . وقال الضحاك : اجتمع عليه أمران شديدان : الناس يجهزون جسده، والملائكة يجهزون روحه ، وبه قال ابن زيد ، والعرب لا تذكر الساق إلا فى الشدائد الكبار والمحن العظام ، ومنه قولهم : قامت الحرب على ساق . وقيل : الساق الأوّل: تعذيب روحه عند خروج نفسه ، والساق الآخر : شدّة البعث وما بعده . ﴿ **إلى ربك يومئذ المساق** ﴾ أى إلى خالقك يوم القيامة المرجع ، وذلك جمع العباد إلى الله يساقون إليه . ﴿**فلا صدق ولا صلى** ﴾ أى لم يصدّق بالرسالة ولا بالقرآن ولا صلى لربه ، والضمير يرجع إلى الإنسان المذكور فى أول هذه السورة . قال قتادة : فلا صدّق بكتاب الله ولا صلى لله ، وقيل : فلا آمن بقلبه ولا عمل ببدنه . قال الكسائى : « لا » بمعنى « لم » ، وكذا قال الأخفش : والعرب تقول : لا ذهب أى ، لم يذهب ، وهذا مستفيض فى كلام العرب ، ومنه :

إن تغفر اللهم تغفر جما وأى عبـد لـك لا ألمـا

﴿ **ولكن كذب وتولى** ﴾ أى كذّب بالرسول وما جاء به ، وتولى عن الطاعة والإيمان . ﴿**ثم ذهب إلى أهله يتمطى** ﴾ أى يتبختر ويختال فى مشيته افتخارا بذلك . وقيل : هو مأخوذ من المطى وهو الظهر . والمعنى : يلوى مطاه . وقيل : أصله يتمطط ، وهو التمدّد والتثاقل ، أى يتثاقل ويتكاسل عن الداعى إلى الحق ﴿ **أولى لك فأولى . ثم أولى لك فأولى** ﴾ أى وليك الويل، وأصله : أولاك الله ما تكرهه ، واللام مزيدة كما فى: ﴿ ردف لكم ﴾ [النمل: ٧٢]. وهذا تهديد شديد، والتكرير للتأكيد، أى يتكرر عليك ذلك مرة بعد مرة، قال الواحدى: قال المفسرون: أخذ رسول الله ﷺ بيد أبى جهل، ثم قال ﴿ **أولى لك فأولى**﴾ فقال أبو جهل: بأى شىء تهددنى لا تستطيع أنت ولا أن تفعلا بى شيئا، وإنى لأعز هذا الوادى، فنزلت هذه الآية. وقيل: معناه: الويل لك، ،ومنه قول الخنساء:

هممت بنفسى بعض الهمو م فأولى لنفسى أولى لها

وعلى القول بأنه الويل ، قيل: هو من المقلوب كأنه قيل : أويل لك، ثم أخر الحرف المعتل. قيل : ومعنى التكرير لهذا اللفظ أربع مرات : والويل لك حيا، والويل لك ميتا ، والويل لك يوم البعث ، والويل لك يوم تدخل النار . وقيل : المعنى : إن الذم لك أولى لك من تركه . وقيل : المعنى: أنت أولى وأجدر بهذا العذاب قاله ثعلب. وقال الأصمعى: أولى

فى كلام العرب معناه: مقاربة الهلاك. قال المبرد: كأنه يقول: قد وليت الهلاك وقد دانيته، وأصله من الولى، وهو القرب . وأنشد الفراء:

فأولى أن يكون لك الولاء

أى قارب أن يكون لك، وأنشد أيضا:

أولى لمن هاجت له أن يكمدا

﴿ **أيحسب الإنسان أن يترك سدى**﴾ أى هملا لا يؤمر ولا ينهى ولا يحاسب ولا يعاقب. وقال السدى : معناه : المهمل ، ومنه إبل سدى ، أى ترعى بلا راع . وقيل : المعنى : أيحسب أن يترك فى قبره كذلك أبدا لا يبعث، وجملة: ﴿ **ألم يك نطفة من منى يمنى**﴾ مستأنفة، أى ألم يك ذلك الإنسان قطرة من منى يراق فى الرحم؟! وسمى المنى منيا لإراقته، والنطفة الماء القليل، يقال: نطف الماء: إذا قطر . قرأ الجمهور: ﴿ **ألم يك**﴾ بالتحية على إرجاع الضمير إلى الإنسان، وقرأ الحسن بالفوقية على الالتفات إليه توبيخا له. وقرأ الجمهور أيضا: ﴿ **تمنى**﴾ بالفوقية على أن الضمير للنطفة. وقرأ حفص وابن محيصن ومجاهد ويعقوب بالتحتية على أن الضمير للمنى ، ورويت هذه القراءة عن أبى عمرو ، واختارها أبو حاتم . ﴿**ثم كان علقة**﴾ أى كان بعد النطفة علقة، أى دما ﴿ **فخلق**﴾ أى فقدر بأن جعلها مضغة مخلقة ﴿ **فسوى**﴾ أى فعدله وكمل نشأته ونفخ فيه الروح. ﴿ **فجعل منه**﴾ أى حصل من الإنسان وقيل: من المنى ﴿**الزوجين**﴾ أى الصنفين من نوع الإنسان. ثم بين ذلك فقال: ﴿**الذكر والأنثى**﴾ أى الرجل والمرأة . ﴿ **أليس ذلك**﴾ أى ليس ذلك الذى أنشأ هذا الخلق البديع وقدر عليه ﴿ **بقادر على أن يحيى الموتى**﴾ أى يعيد الأجسام بالبعث كما كانت عليه فى الدنيا ، فإن الإعادة أهون من الابتداء ، وأيسر مؤونة منه . قرأ الجمهور : ﴿ **بقادر**﴾ وقرأ زيد بن على : « يقدر» فعلا مضارعا ، وقرأ الجمهور : ﴿ **يحيى**﴾ بنصبه بأن . وقرأ طلحة بن سليمان والفياض بن غروان بسكونها تخفيفا، أو على إجراء الوصل مجرى الوقف كما مر فى مواضع .

وقد أخرج ابن أبى الدنيا وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله: ﴿**وقيل من راق**﴾ قال : تنتزع نفسه حتى إذا كانت فى تراقيه ، قيل : من يرقى بروحه ملائكة الرحمة أو العذاب ﴿ **والتفت الساق بالساق**﴾ قال: التفت عليه الدنيا والآخرة وملائكة العذاب أيهم يرقى به. وأخرج عبد بن حميد عنه: ﴿ **وقيل من راق**﴾ قل: من راق يرقى . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عنه أيضا : ﴿ **والتفت الساق بالساق** ﴾ يقول : آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة، فتلقى الشدة بالشدة إلا من رحم الله. وأخرج ابن أبى حاتم عنه أيضا ﴿**يتمطى**﴾ قال : يختال . وأخرج سعيد بن منصور وعبد ابن حميد والنسائى وابن جرير وابن المنذر والطبرانى ، والحاكم وصححه، وابن مردويه عن

سعيد بن جبير قال : سألت ابن عباس عن قوله : ﴿ **أولى لك فأولى**﴾ : أشيء قاله رسول الله ﷺ لأبى جهل من قبل نفسه ، أم أمره الله به ؟ قال : بل قاله من قبل نفسه ثم أنزله الله [١].

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن عباس: ﴿ **أن يترك سدى**﴾ قال: هملا. وأخرج عبد بن حميد وابن الأنبارى عن صالح أبى الخليل قال: كان النبى ﷺ إذا قرأ هذه الآية: ﴿ **أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى**﴾ قال: « سبحانك اللهم وبلى». وأخرج ابن مردويه عن البراء بن عازب قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ **أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى**﴾ قال رسول الله ﷺ: « سبحانك ربى وبلى». وأخرج ابن النجار فى تاريخه عن أبى أمامة؛ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول عند قراءته لهذه الآية: « بلى وأنا على ذلك من الشاهدين». وأخرج أحمد وأبو داود والترمذى وابن المنذر، والحاكم وصححه، وابن مردويه والبيهقى عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « من قرأ منكم :﴿ والتين والزيتون﴾ [التين: ١] فانتهى إلى آخرها: ﴿ أليس الله بأحكم الحاكمين﴾ [التين: ٨] فليقل: بلى وأنا على ذلك من الشاهدين. ومن قرأ: ﴿ لا أقسم بيوم القيامة﴾ [القيامة: ١] فانتهى إلى قوله: ﴿**أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى**﴾ فليقل: بلى. ومن قرأ: ﴿والمرسلات عرفا﴾ [المرسلات: ١] فبلغ : ﴿فبأى حديث بعده يؤمنون﴾ [المرسلات: ٥٠] فليقل: آمنا بالله». وفى إسناده رجل مجهول. وأخرج ابن المنذر وابن مردويه عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ : «إذا قرأت: ﴿ **لا أقسم بيوم القيامة**﴾ فبلغت: ﴿**أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى**﴾ فقل: بلى».

---

(١) النسائى فى التفسير (٦٥٨) وابن جرير ٢٩/ ١٢٤ والطبرانى (١٢٢٩٨) وصححه الحاكم ٢/ ٥١٠ على شرط الشيخين، وقال الهيثمى فى المجمع ٧ / ١٣٥ : «رجاله ثقات».